أحمد طلعت

الإتحاد السوفييتى ومؤتمر جنيف

جمال عبد الناصر

حافظ الاسد

بريجينيف

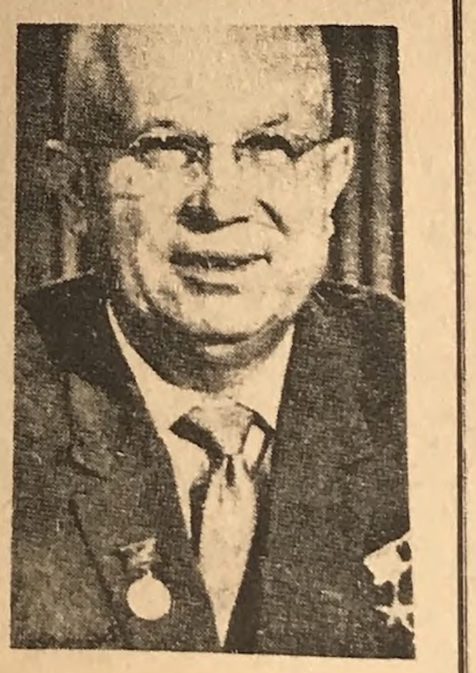

خروشوف

فى منتصف ليلة الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨ أعلنت الولايات المتحدة الامريكية اعترافها بدولة اسرائيل ٠

وبعد منتصف الليل بخمس دقائق ، اذاعت وكالات الانباء ان الاتحاد السوفيتى قد اعترف هو الاخر بالدولة الجديدة ٠٠

وان كانت الدولتان قد اتفقتا فى القرار ، وفى توقيته ، الا أن دوافع كل منهما كانت تختلف عن دوافع الاخرى ٠

الولايات المتحدة الامريكية ، اعترفت باسرائيل لعدة اعتبارات قد يكون من أهمها :

□ الضغط الذى مارسته الصهيونية على أجهزة الحكم فى الولايات المتحدة ، والاغراء الذى قدمته للرئيس الامريكى فى ذلك الوقت ٠٠ هارى ترومان ٠٠ فضلا عن المصالح المشتركة بين الجانبين ٠

□ رغبة الولايات المتحدة فى أن يكون لها تواجد فى منطقة الشرق الاوسط ، بعد أن كانت قد قررت أن ترث التواجد البريطانى - الفرنسى ، الذى كانت له اليد الطولى - فى ذلك الوقت - فى طول المنطقة وعرضها ٠

واسرائيل ، وفق تقدير الذين خططوا للسياسة الخارجية الامريكية فى تلك الفترة ، هى رأس الجسر الذى يتم عبره التواجد الامريكى ٠

□ لهفة المصانع الامريكية ، ورؤوس الاموال الامريكية ، على أسواق جديدة لتصريف انتاجها الصناعى ، بعد أن أنتهت الحرب العالمية الثانية ، وتحولت المصانع ورؤوس الاموال الى الانتاج المدنى ، وكان يكفيها طوال سنوات الحرب ، ما تنتجه من الاسلحة ، الى جانب ما تستهلكه السوق

الامريكية ، وهى سوق لا يستهان بها فى ذاتها ·

اما الاتحاد السوفيتى ، فكانت له دوافع اخرى :

☐ رغبة ملحة فى الخروج الى ميدان السياسة العالمية ، بعد عزلة ما يقرب من نصف قرن ، وبعد خروجه منتصرا فى الحرب العالمية الثانية مما اضفى عليه صفة الدولة العظمى ، التى لا تملك - ولا ترضى - بأن تغيب عن الساحة الدولية ·

☐ ان قيام اسرائيل - جسم غريب فى قلب الامة العربية - سوف يؤدى بالضرورة الى صراع مسلح فى المنطقة بما يستتبعه من فوضى وكوارث ، لا تتنفس الشيوعية ، ولا تنمو بذورها الا فى اجوائها ·

☐ ان الدول العربية المحيطة باسرائيل ، والمشتركة فى حربها ، كانت معظمها تحت حكم ملكى ، وهذه الانظمة الملكية - فى تقدير السياسة السوفيتية - لا يمكن ان تصمد أمام رياح الحروب وعواصف الهزيمة ··

فاذا سقطت هذه الانظمة الملكية، وحلت محلها أنظمة عسكرية كما هى العادة ، فان الساحة العربية تكون اكثر قبولا للماركسية منها فى ظل الانظمة الملكية ·

والتاريخ يشهد بان مقتل الملك عبد الله فى الاردن ، وسقوط الملكية فى مصر والعراق ، الى جانب الانقلابات العسكرية المتتالية فى سوريا ، كانت كلها - بشكل او بآخر - نتيجة لهزيمة العرب فى حربهم مع اسرائيل ·· !!

☐ ان الاتحاد السوفيتى لم يكن له - فى ذلك الوقت - موقع لقدم يقف عليه فى العالم العربى ، بل كانت سفاراته فى العواصم العربية اقرب ما تكون الى جزر مهجورة ، يلتفت الناس خلفهم وهم يحرون امامها ، خوفا من رقيب يسجل خطواتهم ، او شرطى بالملابس المدنية يسجل اسماءهم ·· وكان الاتحاد السوفيتى يامل فى احتواء اسرائيل حتى يطل منها على العالم العربى ·

☐ واذا وصل الاتحاد السوفيتى الى المياه الدافئة - حلمه القديم - واصبح له وجود فى شرقى البحر الابيض المتوسط ، فانه يكون قد اطبق فكيه حول تركيا من الشمال ومن الجنوب ، بحيث يستطيع بضغطة واحدة ان يبقى مضايق البسفور مفتوحة دائما فى وجهه ·

وهكذا اختلفت الدوافع ، واتفق القرار ، فى ليلة الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨ ··

☐●☐

وفى اعقاب الهدنة بين العرب واسرائيل وفرض حظر على توريد السلاح لدول الشرق الاوسط ، كان الاتحاد السوفيتى هو الدولة الوحيدة التى خرجت - علنا - عن هذا الحظر ، وظلت المصدر الرئيسى لتسليح الجيش الاسرائيلى ·· ولعدة سنوات ··

وكانت الولايات المتحدة الامريكية لا تزال - حتى ذلك الوقت بعيدة عن سباق التسلح فى المنطقة ،

ثم انعقد مؤتمر باندونج تحت شعار « عدم الانحياز » ، واختلفت نظرة الدولتين الاعظم بالنسبة لهذا المؤتمر ··

الولايات المتحدة اعتبرته تجمعا دوليا ضد الامبريالية ، وبالتالى فهو تجمع ليس مع الولايات المتحدة وخرجت بنتيجة تقول بان كل ما ليس معها فهو عليها ·· !!

أما الاتحاد السوفيتى فقال بأن كل ما هو ليس عليه فهو معه ·· لذلك كان ترحيب السوفيت ببأندونج حارا وباديا ··

وفى باندونج تحدث جمال عبد الناصر الى شواين لاى رئيس وزراء الصين الشعبية - التى حضرت المؤتمر بوصفها دولة غير منحازة ·· !! حول امكانية تزويد مصر باسلحة سوفيتية ·

وعندما وصلت هذه الرغبة الى زعماء الكريملين ، توقفوا عندها ، واجروا حساباتهم من جديد ·

● مصر اصبح لها دور بارز فى

● عرفات ●

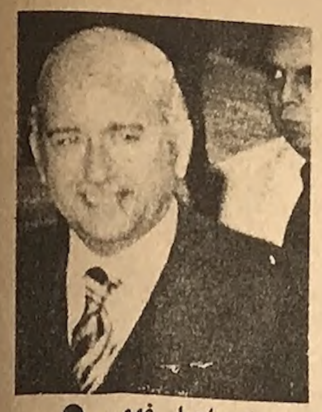

● اسماعيل فهمى ●

مجموعة عدم الانحياز ، وهى مجموعة ينظر اليها الاتحاد السوفيتى على انها معه ··

● ومصر لها مكانتها فى العالم العربى - مع نمو دور جمال عبد الناصر فى المنطقة - وكسبها يجعل الطريق الى العالم العربى والافريقى ممهدا ··

● والامة العربية - بحساب الارقام - اضعاف اضعاف تعداد اسرائيل ، فاذا اقام الاتحاد السوفيتى معها الجسور ، فانه رابح سياسيا واقتصاديا بمعايير الكم ··

● والامة العربية فيها تناقضات طبقية ، وهى بذلك تربة أكثر خصوبة أمام الماركسية من تربة اسرائيل ··

وصدر القرار السوفيتى بتزويد مصر بالسلاح ، ومن بعدها دول كثيرة أخرى فى المنطقة ، ووصف الاتحاد السوفيتى قراره - فى ذلك الوقت - بانه يتمشى مع مبادئه فى مساندة الشعوب المناضلة من اجل سيادتها واستقلال ارادتها ، والمكافحة ضد كافة اشكال العنصرية والامبريالية ·· !!

وهكذا لم تتفق مبادىء الاتحاد السوفيتى مع الحق العربى الا بعد مؤتمر باندونج ·· !!

☐●☐

وتعددت صور التأييد السوفيتى للحق العربى ، ابتداء من مجلس الامن والامم المتحدة ، الى ساحات القتال خلال حربى عام ٥٦ وعام ٦٧ ، الا ان هذا التأييد لم يساعد على احراز نصر عربى فى هاتين الحربين ، فضلا عن ما تردد - همسا - من انه على العكس قد ساعد على وقوع الهزيمة ·· !!

وللحقيقة ، فان العلاقات بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتى لم تكن تمر بشهر عسل دائم ، فقد تعرضت هذه العلاقات لعدة نكسات :

● مرة مع خروشوف ، عندما حاول ان يضغط باكثر من اللازم لاحتواء مصر داخل المعسكر الشيوعى ··

● ومرة مع بريجينيف ، فى اعقاب التصفية الشاملة للعناصر الشيوعية فى السودان ، وكان الاتحاد السوفيتى يتوقع ان يكون لمصر دور فى ايقاف تلك التصفية ·

● ومرة ثالثة - مع بريجينيف ايضا - خلال زيارة عبد الناصر السرية لموسكو والتى أعلن أثناءها قبوله بمبادرة روجرز الامريكية ، بعد ان رفض زعماء الكريملين امداد مصر بطائرات من طراز ميج ٢٣ ·

ثم جاء السادات ، بعد رحيل عبد الناصر ، وعقد معاهدة الصداقة المصرية - السوفيتية ، وظل يعانى مع الاتحاد السوفيتى ، حتى وصل هو الاخر الى نفس الطريق المسدود الذى سبق ان وصل اليه عبد الناصر ··

وتدهورت العلاقات المصرية - السوفيتية والغيت معاهدة الصداقة، ولم يتوقف هذا التدهور عند حد ، وكانت أبرز معالم الخلاف على النحو التالى :

اولا : اخراج الخبراء السوفيت من مصر ، وهو اجراء كان ضروريا اذا ارادت مصر ان تبتعد عن مخاطر تدويل الصراع فى الشرق الاوسط ، وهى مقبلة على حرب اكتوبر ·

ثانيا : اصرار الاتحاد السوفيتى على المطالبة بديونه المستحقة على مصر - ومعظمها ديون عسكرية - فى وقت كانت مصر فيه خارجة لتوها من حرب خاضتها ضد العنصرية الاسرائيلية ، ومن اجل استرداد الاراضى العربية التى احتلت بالعدوان · وهى اهداف كان المفروض ان تتفق مع مبادىء الاتحاد السوفيتى ·· المعلنة على الاقل ··

وهناك مؤشرات تشير الى ان محاولات تبذل الان من أجل وقف التدهور فى العلاقات العربية السوفيتية ، واعادتها الى حالتها الطبيعية ، وأبرز هذه المحاولات :

- زيارة ياسر عرفات الى الاتحاد السوفيتى وما قيل عن وساطته ··
- زيارة الرئيس حافظ الاسد الى موسكو وما اعلن عنه من نجاحها ··
- تصريحات نائب رئيس جمهورية مصر العربية فى باريس مؤخرا من ضرورة تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ··

الاجتماعات ، شبه اليومية ، التى تعقد الان فى القاهرة بين اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء المصرى والسفير السوفيتى ··

والسؤال الان على كل لسان عربى هو :

- ما هو موقف الاتحاد السوفيتى من مؤتمر جنيف وماذا سيكون موقفه فيه اذا انعقد كما هو مقرر ، والاتحاد السوفيتى هو رئيس مناوب للمؤتمر ، وفقا لقرار مجلس الامن ·· ؟ !

واذا اراد الاتحاد السوفيتى ان يجيب على هذا السؤال ، فان على القادة السوفيت - أولا - ان يجيبوا على سؤال يوجهونه الى انفسهم :

- هل التأييد السوفيتى للحق العربى ، صادر عن قناعة مبدئية ، أم هو يتشكل وفقا للمتغيرات السياسية ·· ؟ !